فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات "الثالثة"

(٤٦)

شَرحُ

كِتَـــابِ الكَبَـــــائِر وَتَبْيينِ الْمَحَارِم

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِاللهِ مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايمَازَ الذَّهَبِيِّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرّزاق بن عبد المحسن البدر

الكَبِيرَةُ الرَّابِعَةُ والأَرْبَعُوْن: المُصَوِّرُ فِيْ الثِّيَابِ وَالْحِيْطَانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرّحمـــٰن الرحيم

[المتن]

الكَبِيرَةُ الرَّابِعَةُ والأَرْبَعُوْن

المُصَوِّرُ فِي الثِّيَابِ وَالْحِيْطَانِ وَنَحْوِ ذَلِكَ

قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوْحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

[الشرح]

التّصوير من الكبائر، التّصوير من الكبائر، ومن موجبات سخط الله وحلول اللّعنة، وقد ورد فيهـــا نصوص شديدة في الوعيد عليه والتّهديد على فعله، سواءً صوّر الإنسان في ورقة، أو صـــوّر علـــى حائط، أو في ثوب أو غير ذلك، فهـــٰذا العمل هو من كبائر الذّنوب، وقد جاءت نصوصٌ كثيرة في التّهديد والوعيد للمصوّرين، والتّصوير والبناء على القبور هما في قديم الزّمان وحديثه أعظم أســـباب الشّرك؛ ولهـــٰذا قال النّبي –عليه الصّلاة والسّلام –لعليّ عندما بعثه، قـــال: «**لاَ تَـــدَعْ صُـــورة إلاَّ طَمَستَهَا، وَلاَ قَبرًا مَشيدًا إلاَّ سَوّيتَه**»، فالبناء على القبور والتّصوير هـــٰذا من أعظم أنواع الشّرك في قديم الزّمان وحديثه؛ ولهـــٰذا أيضا قال النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– لزوجه أمّ سلمة لّما ذكرت مـــا رأت في الكنيسة التي رأتها في الحبشة، قال: «**أُولئِكَ شِرارُ الخَلق، إذَا مَاتَ فِيهم الرَّجلَ الصَّالحَ بَنَوا عَلى قَبرِهِ مَسجدًا، وَاتَّخذُوا لَه صُوَرًا**»، فاتّخاذ الصّور وكذلك البناء على القبور والقبـــاب علـــى القبور ونحو ذلك هـــٰذا من أعظم أسباب الشّرك في قديم الزّمان وحديثه.

وأورد المصنّف في بعض النّصوص في التّحذير من هـــٰذه الكبيرة قال: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوْحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**»، يعني كلّ صورة صوّرها يُطلب منه يوم القيامة أن ينفخ فيها الرّوح، «**يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**»؛ يعني أنت صوّرت هـــٰذه الصّور فأحييها أُنفخ فيها الروح، «**وَلَـــيْسَ بِنَافِخٍ**»، فيُعذّب يوم القيامة بكلّ صورة صوّرها، كانت عشر أو كانت مئة أو كانت ألف أو ألفين، كلّما ازدادت الصّور ازداد العذاب.

[المتن]

وَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ. يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

أشد النّاس عذابا، الأشديّة هنا إمّا أن تكون مطلقة: فيكون هـٰذا الوعيد في حقّ من صوّر للشّرك؛ يعني قصدا للشّرك؛ لأن تعبد من دون الله، وأن تكون أصناما تعبد من دون الله.

أو تكون الأشديّة هنا بالنسبيّة، بالنسبة للذنوب والمعاصي التي هي مثل هـٰذه المعصيّة «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا» في الكبائر التي دون الشرك «المصوّرون»؛ إلا إذا قُصد بالتصوير الذي هو تصويرها للتّعاون على الشّرك وإقامة الشّرك، فهـٰذه الأشديّة مطلقة قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ، يُقَالُ لَهُمْ: » -أي يوم القيامة- «أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» وهـٰذا هو معنى قوله: «يؤمر أو يُكلَّف أن ينفخ فيها الروح» يقال له: أحيي ما خلقت؛ يعني أحيي ما صوّرت، ثمّ يعذّب بكلّ صورة صوّرها، نعم.

[المتن]

وَقَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهَا-: قَدِمَ رَسُوْلُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيْهِ تَمَاثِيْلُ، فَهَتَكَهُ، وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ الَّذِيْنَ يُضَاهُونَ بِخَلقِ اللهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

السَّهْوَةِ: كَالْمَجْلِسِ وَالصُّفَّةِ فِي البَيْتِ.

والقِرَامُ: السِّتْرُ الرَّقِيْقُ.

[الشرح]

ثمّ أورد هـٰذا الحديث فيما ذكرته أمّ المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: (قَدِمَ رَسُوْلُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ)، (والقِرَامُ: السِّتْرُ الرَّقِيْقُ) يعني الخفيف و" **السّهوة** ": قسم من البيت.

ومن فوائد الحديث: أنّ المرأة ينبغي لها أن تهيّئ البيت، وخاصّة إذا كان الزوج قادم من السّفر؛ ولهـٰذا أيضا نُهي أن يطرق الزّوج بيته ليلا قال: «حتى تمتشط الشَّعِثة وتستحدّ المغيّبة»؛ يعني تتهيأ في نفسها وتتهيأ أيضا في بيتها، تُهيئ البيت وتهيئ نفسها له، وهـٰذا من فوائد الحديث.

قالت: (قَدِمَ رَسُوْلُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيْهِ تَمَاثِيْلُ) يعني تهيّأت، هيّأت البيت بمناسبة مقدم النّبيّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ يعني أدخلت على البيت شيئا من التّحسين أو نحو ذلك.

(فَهَتَكَهُ، وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ)؛ لأنه كان فيه تماثيل؛ أي فيه صور، (فتلوّن وجهه)؛ يعني تغيّر وجه النبيّ

-عليه الصّلاة والسّلام- (وهتكه) أي قطعه، وقال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ الَّذِيْنَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ».

وأيضا هنا يمكن أن نستفيد فائدة في المعنى السّابق في قوله: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا» إذا كان صوّر قاصدا المضاهاة فهو في الأشديّة على الإطلاق، أو صوّر قاصدا الشّرك وعبادة غير الله فالأشدية على الإطلاق.

أما إذا كان التصوير لأغراض أخرى دون ذلك فالأشديّة هنا بالنسبة للذنوب والكبائر التي دون الشرك، فلا يكون من كان كذلك أشد عذابا من المشرك، نعم، فالمسألة فيها تفصيل بحسب هـٰذه المعاني.

[المتن]

وَفِي السُّنَنِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ: «يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

[الشرح]

ثمّ ذكر هـٰذا الحديث في الوعيد للمصورين أنه يوم القيامة «يخرج عنق من النّار» يعني جانب طويل من النّار فيقول: «إِنِّي وُكِّلْتُ بِكُلِّ مَنِ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِالْمُصَوِّرِينَ»؛ يعني بهؤلاء الثّلاثة: المشرك والجبار المتكبّر والمصوّر، فهـٰذا العنق وُكِّل بهؤلاء؛ يعني أن يعذّبهم وأن يكون فيه تعذيب لهؤلاء، وهـٰذا العنق من النار يتكلّم بهـٰذه الكلمات حقيقةً كما أخبر النّبيّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في هـٰذا الحديث.

[المتن]

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هـٰذه الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

وهـٰذا دليل على أن هـٰذا الأمر كبيرة، أن المصوّرين الذين يصنعون الصور «يُعَذَّبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» وما هم بقادرين على ذلك فيُعَذّبون بكلّ صورة صوّروها.

[المتن]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهما-: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا، فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

وهـــٰذا بمعنى ما سبق، ويدلّ على خطورة التّصوير: أنّ كلّ مصوِّرٍ في النّار «يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا، فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ»؛ يعني نفس الصّورة التي هو صوّرها يجعل الله فيها نفسا وتكون من الوسائل التي يُعذَّب بها في النّار، وكلّ ما زاد عدد الصور التي صوّرها زاد عدد هـــٰذه الأنفس التي يُعذَّب بها في نار جهنّم والعياذ بالله.

وقول النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام-: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ» يجعل الإنسان يحتاط لنفسه في باب التّصوير غاية الاحتياط ولا يستهين ولا يفتح على نفسه باب الرُّخَص، هـــٰذه ليست بصورة وهـــٰذه ليست بكذا ويبدأ يُدخل على نفسه باب التّساهل والتّهاون والاستهانة بالأمر والتهوين من شأنه، فالأمر ليس بالهيّن، عقوبات شديدة وعقوبات مغلّظة ووعيد شديد، فيجب على الإنسان أن يحتاط لنفسه بالبعد عن ذلك ولا يفعل شيئا منه إلاّ إذا كان هناك ضرورة ملّحة تقتضي ذلك فإنه يفعله وهو كاره ليس راغبا ولا محبّا ولا منشرح الصدر، وإنّما يفعله كارها للضّرورة التي ألجأته إلى الصورة قال: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ».

[المتن]

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يَقُولُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، فَلْيَخْلُقُوا شَعِيرَةً، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

وهـــٰذا فيه وصف هؤلاء بالظلم، وأنهم من أشدّ النّاس ظُلما؛ الذي يذهب ويخلق خلقا كخلق الله؛ يعني يضع صورا يضاهي بها خلق الله، وهؤلاء يُقال لهم يوم القيامة: اخلقوا حبّة، اخلقوا شعيرة، اخلقوا ذرّة. فما هم بخالقين، ولهـــٰذا يُعذّبون يوم القيامة بكلّ صورة صوّروها.

[المتن]

وَصَحَّ عَنْهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ الْمُصَوِّرَ».

[الشرح]

واللّعن يدلّ على أن الأمر كبيرة من الكبائر.

۞۞۞۞